جامعة زيان عاشور بالجلفة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ والآثار

محاضرات في مادة

تاريخ الجزائر الثقافي الحديث والمعاصر

للسنة الثانية تاريخ عام (ل.م.د)

السداسي الرابع

وفق برنامج وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

إعداد

الأستاذ الدكتور الشافعي درويش

السنة الجامعية: 1443 هـ – 1444 هـ / 2022 م – 2023 م

مقدمة :

يعتبر تاريخ الجزائر الثقافي الحديث والمعاصر من المواضيع الهامة من تاريخ الجزائر ،والذي يمثل مرحلة مهمة من تاريخنا ،ذلك أنه يشمل الجانب الثقافي والتعليمي للجزائر خلال العهدين العثماني وفترة متقدمة من مرحلة الاحتلال الفرنسي ،ويدرس الحالة الثقافية للجزائر والجزائريين من حالة التعليم ،إلى دور الأوقاف والطرق الصوفية في الجانب التعليمي ،وأهم العلماء الجزائريين خلال هذه المرحلة ،بالإضافة إلى دور الهجرة في الحياة الثقافية ،سواء هجرة الطلبة أو العلماء من وإلى الجزائر نحو ومن الأقطار الإسلامية .

وبذلك يمكن القول أن هذه الفترة كانت هامة وضرورية ،بالنسبة لتاريخ الجزائر عموما ،لأنها حافظت على الهوية الثقافية الوطنية والدينية .لذلك لا يمكن الاستغناء عنها بالدراسة ،وهي مخصصة لطلبة الثانية تاريخ عام تخصص (ل.م.د) .

وهذه عبارة عن ملخصات للمحاضرات التي تطرقنا لها خلال السداسي الثاني ،والتي ستفيد الطالب في تذكر مضمون المحاضرة التي قدمناها حضوريا .

المحاضرة الأولى : 1- التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني :

الإشكالية :كيف كانت وضعية التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني ؟وماهي العوامل التي أثرت فيه ؟

قبل أن نتكلم عن وضعية التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني ،يجب التطرق إلى العوامل التي أثرت في الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني عموما ،وحالة التعليم بوجه خاص .ذلك أن الوضعية الثقافية خلال العهد العثماني اختلفت كثيرا عن تلك الوضعية خلال الفترة التي سبقته ،ونقصد هنا الحالة الثقافية خلال العهد الزياني ،التي كانت مزدهرة ومتطورة ،في حين أن كثير من الباحثين والدارسين ،يصفون الحالة الثقافية والوضعية التعليمية خلال العهد العثماني ،أنها لم تكن مزدهرة ومتطورة بالمقارنة مع العهد الزياني الذي سبقه .لذلك كان لزوما الوقوف على العوامل التي أثرت فتلك الوضعية خلال العهد العثماني ،بهدف فهم ماهية وضعية التعليم خلال هذه الفترة المدروسة .

1- العوامل المؤثرة في التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني :

- عدم تشجيع السلطة العثمانية للحياة الثقافية :

تشير الكثير من الدراسات والكتابات أن السلطة العثمانية في الجزائر ، لم يكن لها دور كبير في تشجيع التعليم في الجزائر ،ذلك أن العثمانيين انشغلوا بهدف واحد وهو حماية السواحل الجزائرية من التهديد الخارجي المسيحي ،في حين أهملوا الجوانب الأخرى كالتعليم والصحة وغيرها .فقد بقيت السلطة العثمانية بعيدة عن أوضاع الجزائريين ،ولم تهتم بها ،لأن العثمانيين بنوا حاجزا بينهم وبين الأهالي الجزائريين .

- ترك الحرية للأهالي في إدارة التعليم :

لم يتدخل العثمانيون في الشؤون الداخلية للجزائريين ،ومن بينها التعليم ووضعيته وبرامجه ،بل اكتفوا بدور المراقب ،لذلك حمل الجزائريون ومؤسسات أخرى دورها من أجل الإشراف على التعليم في الجزائر ،لذلك صبغ التعليم بطابع خاص ولم يتطور كثيرا لأن السلطة الرسمية لم تشرف عليه .من جهة أخرى يحسب للعثمانيين أنهم لم يقيدوا حركة التعليم بل تركوا الحرية لأهله .

- دور الأوقاف في الحياة الثقافية :

لعبت مؤسسة الأوقاف دورا كبيرا في الإشراف على حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني ،ذلك أن الوقف كان يتكفل ببناء مؤسسات التعليم والتكفل بإقامة العلماء وأجورهم ،كما يتكفل بالإنفاق على الطلبة وتأمين مصاريف الإيواء والإقامة لهم .

– دور الطرق الصوفية والزوايا في التعليم :

لعبت المؤسسات الدينية دورا كبيرا في الحفاظ على التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني ،ونقصد بها الطرق الصوفية والزوايا ،خاصة وأن الجزائر تتوفر على عدد كبير منها سواء في المدن الكبرى أو في الأرياف ،فقد كانت تشرف على الحركة العلمية ،وأن كثير من العلماء كانوا خريجي هذه المؤسسات ،زد على ذلك أن العثمانيين قربوا هذه المؤسسات وتركوا لها حرية العمل .

– طغيان التعليم الديني :

ما يميز التعليم في الجزائر ،وقد أثر على طبيعته هو طغيان التعليم الديني ،ومبادئه ،والذي كان سيمة غالبة في البلاد الإسلامية في تلك الفترة ،وقد صبغ التعليم بالتعليم الديني بنسبة كبيرة .مقارنة بالتعليم في الدول الأوربية التي كانت تتوجه إلى التعليم العقلي ،خاصة مع نهاية القرن الثامن عشر الميلادي .

– اللغة التركية الرسمية ولغة الأهالي العربية :

أثر الاختلاف الموجود في لغة العثمانيين التركية ،التي كانت اللغة الرسمية للجزائر ،مع اللغة العربية التي كانت لغة التدريس ،في اهتمام العثمانيين بالتعليم ،مما أثر سلبا على حركة التعليم في هذه الفترة .

ومما سبق يمكن القول أنه تحكمت مجموعة من العوامل أثرت على الحالة الثقافية للجزائر خلال العهد العثماني ،ساهمت في تحديد طبيعتها ومدى تطورها .

المحاضرة الثانية : التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني :

الإشكالية :كيف كانت وضعية التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني ؟وماهي أهم العلوم التي كانت سائدة ؟ .

شهدت الحركة التعليمية في الجزائر خلال العهد العثماني ،ظهور العديد من العلوم ،التي عرف بعضها تطورا كبيرا ،خلال هه الفترة ،وذلك نتيجة عدة عوامل ،ارتبطت بطبيعة تلك العلوم أو بطبيعة الفترة العثمانية ذاتها ،أو نتيجة وجود علماء تخصصوا في تلك العلوم ،فعملوا على نشرها وتطويرها بين الجزائريين ،ويمكن تقسيم تلك العلوم إلى :

1- العلوم العقلية :

نقصد بها العلوم الرياضية مثل الحساب والهندسة وعلم الفلك ،وعلوم الطبيعة مثل علم النبات ،والحيوان ،وعلم الكيمياء ،والطب والصيدلة .وما يميز هه العلوم هو قلة انتشارها وتطورها ،وذلك نظرا لقلة الاهتمام بها وقلة العلماء الذين برزوا في هذه العلوم ،ومن بين العلماء الذين برزوا في مجال الطب على سبيل المثال ،نذكر عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري ،وقد اشتهر بمؤلفه الجوهر المكنون من بحر القانون .

2- العلوم النقلية :

تشمل علوم القرآن الكريم ،وعلوم الحديث والتفسير ،والسيرة والفقه ،وعلوم اللغة ،وعلم الجغرافيا ،والتاريخ ،والمنطق ... وقد برز عدة علماء في هذه العلوم ،ونذكر مثلا في المنطق منهم ،عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري ،وأبو راس الناصري .أما في التاريخ فبرز عدة مؤلفين نذكر منهم :المقري بمؤله نفح الطيب ،وعبد القادر المشرفي بمؤلفه بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبان بوهران من الأعراب ،وابن المفتي بمؤله تقييدات ابن المفتي ،وفتح الإله لابي راس الناصري .

ومما سبق يمكن القول أن الملاحظ بالنسبة لطبيعة العلوم السائدة خلال العهد العثماني ،أن العلوم النقلية كانت واسعة الانتشار بالمقارنة مع العلوم العقلية ،وذلك بسبب هيمنة الثقافة الدينية على الحياة الثقافية خلال تلك الفترة ،واهتمام العلماء أو انتسابهم إلى الطرق الصوفية .يضاف إلى ذلك تشجيع الحكام للطرق الصوفية التي كثر إنتاجها .

المحاضرة الثالثة : سياسية التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني :

الإشكالية :كيف كانت وضعية التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني ؟وكيف كانت طرق التعليم وبرامجه التعليمية ومستوياته في الجزائر خلال العهد العثماني ؟ .

– العلماء :

كان العلماء خلال العهد العثماني هم من يقوم بالتعليم في المؤسسات المختلفة سواء في المساجد ،أو المدارس أو الكتاتيب ،أو المعاهد ،وإلى جانب مهمة التعليم كان العلماء يزاولون وظائف أخرى ،كوظيفة القضاء ،والخطابة والإمامة في المساجد ،أو الإفتاء ،أو الكتابة وغيرها ،وكان هؤلاء العلماء يقومون بوظيفة التعليم دون التدخل في مجالات أخرى كالسياسة للحفاظ على وظائفهم ومكانتهم .

وقد اشتهر من علماء الجزائر في العهد العثماني :عبد الرحمان الأخضري (ت 1575م) ،واضع كتاب **الجوهر المكنون** في البلاغة ،وأبو العباس أحمد المقري (ت 1632م) ،صاحب كتاب **نفح الطيب** ،وأبو مهدي عيسى الثعالبي (ت 1668م) ،صاحب كتاب **مقاليد الأسانيد** ،ويحي الشاوي (ت 1685م) ،من مصنفاته **أصول النحو** ،وعبد العزيز الثميني (ت 1808م) ،له كتاب **النيل وشفاء العليل** في فقه الإباضية .

وكذلك من أهم علماء الجزائر في السير والتراجم والرحلات وغيرها ،نذكر بعضهم ،لأن الأستاذ أبو القاسم سعد الله أفرد لكل واحد منهم شرحا مفصلا :

– عبد الكريم الفكون (ت 1662م) ،صاحب كتاب **منشور الهداية** .

– أحمد بن القاسم البوني (ت 1726م) ،له كتاب **الدرر المصونة في علماء وصلحاء بونة** .

– محمد بن ميمون الجزائري (ت 1746م) ،صاحب كتاب **التحفة المرضية** .

– عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري (ت 1783م) ،صاحب مصنف **رحلة لسان المقال** .

– عبد القادر المشرفي (ت 1778م) ،وله كتاب **بهجة الناظر** .

– محمد التلمساني (ت 1780م) ،صاحب كتاب **الزهرة النائرة** .

– أحمد بن سحنون الراشدي (ت 1796م) ،صاحب **الثغر الجماني** .

– أحمد بن هطال التلمساني (ت 1804م) ،صاحب كتاب **رحلة محمد الكبير باي الغرب** .

– محمد بن أبي راس الناصري (ت 1823م) ،صاحب **عجائب الأسفار** ،وإلى جانب هؤلاء هناك عدد كبير من العلماء تركوا مؤلفات كثيرة ،تمتد على طول القرن 19م ،وحتى بداية القرن 20م .

– طرق التعليم وبرامجه :

كان التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني يتم بالطرق التقليدية المعروفة أنذاك في البلاد الإسلامية ،فكان يتم في المؤسسات التعليمية وهي الكتاتيب والمساجد .ورغم ما يقا ل من طرف بعض الكتابات عن ضعف التعليم خلال العهد العثماني ،إلا أن تلك الكتابات تجمع على أن العثمانيين لم يبخلوا على التعليم من خلال بناء المؤسسات التعليمية الدينية ،وأوقفوا الكثير لأجلها ،ولم يمنعوا الواقفين لتمويلها .

وقد كان التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني يمر بمراحل ،حيث يبدأ بالمرحلة الأولية في الكتاتيب بدراسة القرآن ،واللغة العربية ،والقراءة والكتابة ،ثم ينتقل الطلبة بعد إتمام المرحلة الابتدائية يتوجه الطلبة إلى المساجد لدراسة الفقه وعلوم التفسير والنحو ،والأدب وغيرها ،وبعد ذلك يتوجهون إلى المعاهد الإسلامية للتعمق في دراسة العلوم السابقة ،كما يضيفون عليها بالدراسة بعض العلوم العقلية كالحساب وعلوم الطبيعة .

وقد ظلت برامج التعليم تعتمد على العلوم المرتبطة بالدين ،لأنها الميزة الغالبة في البلاد الإسلامية ،وفي ذلك العصر ،كما كان التدرج من مرحلة إلى أخرى من الكتاتيب إلى المساجد ،ثم التخصص في بعض العلوم لبعض الطلبة في المعاهد الإسلامية ،وقد غلبت العلوم النقلية على برامج التعليم مقارنة بالعلوم العقلية ،التي انحصرت في الطب والصيدلة وعلم الفلك .

– المستويات التعليمية :

لم تكن مستويات المتعلمين والتعليم جيدة إلى حد بعيد ،وذلك نتيجة العوامل التي تحكمت في الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني ،فكان المتعلم في المرحلة الابتدائية والثانوي لا يتجاو ز الكتابة والقراءة والأخذ عن شيخه أو شيوخه ،وهذه ميزة عامة في كل المدارس ،ولا يستطي ع المناقشة والتحليل والحوار والتعمق ،فالمتعلم يأخذ عن معلمه أو شيخه ويجيزه ،وهذا متعارف عليه في هذه الفترة ،في حين يستطيع الطالب التعمق في البحث والعلوم إذا انتقل إلى المعاهد العليا .

ومما سبق يمكن القول أنه رغم وجود التعليم في الجزائر في العهد العثماني وتنوع مؤسساته وبرامجه ومواده ،إلا أنه تميز بطغيان التعليم الديني وذلك نظرا لطبيعة العصر في تلك الفترة ،ونتيجة انتشار طرق معينة للتدريس تميزت بارتباط الطلبة بشيوخهم وأخذهم عنهم دون تحليل للمعرفة أو تعمق فيها ،وهذه طبيعة العلوم الدينية في تلك المرحلة .

المحاضرة الرابعة : سياسية التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني :

الإشكالية :كيف كانت وضعية التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني ؟وكيف كانت علاقة العلماء بالسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني ؟ .

– علاقة العلماء بالسلطة :

رغم أن العديد من الكتابات وصفت الحالة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني بالضعف ،إلا أننا نجد بعض العلماء الجزائريين برزا في مختلف العلوم النقلية ،أو العقلية ،وكانوا مثالا لغزارة العلم ،ورغم العلاقات العلمية بين العلماء ،إلا أنه كان يحدث التنافس بين العلماء من أجل الحصول على الوظائف العلمية والدينية .

لقد كانت العلاقة بين السلطة العثمانية في الجزائر وعلماء الجزائر تخضع لمنطق المصلحة ،فقد تعاملت معهم في بداية العهد العثماني وتقربت منهم قصد تثبيت وجودها في الجزائر والاستفادة منهم ومن نفوذهم وسلطتهم الروحية والعلمية على الأهالي ،حيث بدأت تلك العلاقة مع أول وفد جزائري زار الدولة العثمانية في سنة 1519م ،وقابل السلطان سليم الأول ،حيث ترأسه علماء مدينة الجزائر . لقد ساهم العلماء والفقهاء الذين قربتهم السلطة العثمانية ،في إخماد العديد من الثورات المعارضة للعثمانيين ،كما ساهموا في إقناع بعض القبائل لكسب الولاء للعثمانيين ،وفي المقابل منحت السلطة العثمانية لهؤلاء العلماء وظائف وامتيازات.

وفي المقابل تعرض الكثير من العلماء إلى النفي والعزل والتنكيل بسبب معارضتهم للسلطة العثمانية ،في حين نجد بعض العلماء مثل المليانى ،وأبو راس الناصري قربتهم السلطة العثمانية .وبذلك اختلفت علاقة العلماء بالسلطة العثمانية .حسب قربهم من الدولة العثمانية ،وحسب فترات حكم العثمانيين ،وحالة البلاد والظروف التي مرت بها .

– دور الوقف في التعليم :

لقد كان للوقف والواقفين دور كبير في الحركة العلمية في الجزائر خلال العهد العثماني ،ذلك أن الوقف كان موجودا في الجزائر قبل العهد العثماني ،لذلك أبقى العثمانيون عليه ،بل ساهموا في زيادته ،وأوقفوا العديد منه لبناء المؤسسات التعليمية ،والنفقة على العلماء والطلبة ،حتى أن من بين الوقافين كانوا من رجال السلطة والحكام العثمانيين أنفسهم ،بل شجعوا الوقفين على منحهم من أجل تشجيع الحركة الثقافية وحركة التعليم ،لذلك كثرت المدارس ،والكتاتيب والمساجد ،التي كانت تبنى

بفضل عملية الوقف ،كما كثر عدد التلاميذ وطلبة العلم ،سواء في المدن والأرياف ،كما كانت إقامات الطلبة مفتوحة أمام طلبة العلم ،لأنها تمول من طرف الوقافين .

ومما سبق يمكن القول أن علاقة العلماء في الجزائر خلال العهد العثماني بالسلطة ،قد اختلفت حسب حاجة السلطة وحاجة العلماء ،وكذا من فترة إلى أخرى ومن مكان إلى آخر .في حين أن العثمانيين ساهموا في الحركة العلمية من خلال تشجيعهم لظاهرة الوقف .

المحاضرة الخامسة : سياسية التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني :

الإشكالية :كيف كانت وضعية التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني ؟وكيف كانت أثرت هجرة العلماء والطلبة في التعليم خلال العهد العثماني ؟ .

تعتبر ظاهرة الهجرة من الجزائر وإليها من المظاهر الهامة في التواصل الثقافي بين الجزائر ،وأقطار البلاد الإسلامية ،خلال العهد العثماني ،وقد ساهمت هجرة العلماء والطلبة في الحركة التعليمية .

– هجرة العلماء من الجزائر :

لقد عرفت الجزائر هجرة العلماء إلى المغرب الأقصى وخاصة خلال القرن 16م ،ويعود ذلك إلى القرب من جهة ،وإلى كثرة علماء المغرب ومعاهده العلمية ،وخاصة جامع القرويين ،ونخص علماء الغرب الجزائري ،وخاصة علماء حاضرة تلمسان ،الذين كان توجههم إلى المغرب الأقصى في هذه الفترة ،ومنهم من استقر به .

– هجرة العلماء إلى الجزائر :

لقد كانت معظم أقطار البلاد العربية تابعة للدولة العثمانية ،وكان التنقل بين هذه الأقطار حالة عادية خلال العصر الحديث ،وقد كان أكثر حركة لهجرة العلماء باتجاه الجزائر تأتي من المغرب الأقصى ،والملاحظ أن هؤلاء العلماء استقر الكثير منهم في الجزائر ،ويعود تفسير ذلك إلى موقع الجزائر في الطريق بين المغرب الأقصى وبقية البلاد الإسلامية ،سواء في طريق الذهاب أو الإياب ،والملاحظ كذلك هو القرب بين البلدين من جهة والصلات الاجتماعية والروحية والعرقية بينهما ،لذلك يفضل علماء المغرب الاستقرار في الجزائر ،لهذه الأسباب .ومن بين العلماء المغاربة الذين استقروا في الجزائر فترة من الزمن ،وتحديدا في مدينة تلمسان ،أبو القاسم الزياني صاحب الرحلة الزيانية ،المتوفي سنة 1833م .

– دور هجرة العلماء في الحركة الثقافية في الجزائر :

لقد ساهمت هجرة العلماء من الجزائر وإليها من الأقطار الإسلامية في نشر مظاهر المعرفة والعلم ،وذلك من خلال تبادل العلوم المختلفة ،والحصول على الإجازات العلمية من مختلف المعاهد الإسلامية ،وكذلك القيام بحلقات الدروس في الفقه والنحو والتفسير ،إضافة إلى العلوم العقلية في مختلف حواضر البلاد الإسلامية .

ومما سبق يمكن القول أنه خلال العهد العثماني في الجزائر ،كثرت ظاهرة هجرة العلماء من الجزائر ،وإليها من مختلف الأقطار الإسلامية ،ذلك أن الطريق كان مفتوحا بينها من جهة ،ومن جهة أخرى

شغف العلماء الجزائريين وغيرهم من أجل نشر المعرفة ،أو الحصول عليها ،لذلك كانت المعاهد ولجامعات الكبرى تعج بهؤلاء العلماء ،الذين أصبحوا طلبة علم ،عملوا على الحصول عليه ،ثم ساهموا في نشره .

المحاضرة السادسة : سياسية التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني :

الإشكالية :كيف كانت وضعية التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني ؟وماهو الدور الذي لعبته الطرق الصوفية في الحياة الثقافية خلال العهد العثماني ؟ .

– التصوف وأهم الطرق الصوفية في الجزائر خلال العهد العثماني :

عرفت الجزائر خلال العهد العثماني انتشارا واسعا لحركة التصوف ،على الرغم من ظاهرة التصوف والطرق الصوفية ،كانت منتشرة قبل العهد العثماني ،إذ أن الظاهرة قديمة تعود إلى العصور الوسطى ،وقد اتسم العهد العثماني في الجزائر بسيطرة التصوف على مختلف مظاهر الحياة في الجزائر ،اجتماعيا ودينيا وثقافيا ،وحتى سياسيا ،ذلك أن العثمانيين أنفسهم كانوا يعتقدون في التصوف ويتقربون إلى الطرق الصوفية وشيوخها ،سواء في مراحل السلم أو حلات الحرب .

وقد انتشرت في الجزائر في العهد العثماني العديد من الطرق الصوفية ،بعض منها من المشرق الإسلامي ،وأخرى مغاربية ،والبعض الآخر محلية جزائرية ،ونذكر البعض من هذه الطرق على سبيل المثال لا الحصر ،الطريقة القادرية التي وجدت قبل العثمانيين ،والطريقة الشاذلية هي الأخرى كذلك ،والطريقة الرحمانية وهي محلية تعود إلى القرن 18م ،الطريقة الدرقاوية وهي طريقة مغربية تعود إلى القرن 18م ،الطريقة التيجانية وهي طريقة محلية جزائرية تعود إلى القرن 18م ،والطريقة الشيخية وهي محلية جزائرية تعود إلى القرن 17م .

– دور الطرق الصوفية في الحياة الثقافية :

لقد شكل التصوف محور ثقافة الجزائر خلال العهد العثماني ،وكانت الطرق الصوفية والزوايا وشيوخها يمثلون العناصر البارزة في الأوساط الاجتماعية والدينية والفكرية ،بسبب تبوئهم في المجتمع وقيامهم بأدوار بارزة ،فقد مثلوا النخبة المثقفة ،وكانوا يشرفون على الحركة الثقافية والعلمية وحافظوا على اللغة العربية والدين الإسلامي ،من خلال تمويلهم للتعليم وشكلت الزوايا مراكز لتعليم الطلبة وإيواء العلماء .

ومما سبق يمكن القول أن التصوف والطرق الصوفية والزوايا كانت إحدى السيمات البارزة للحركة الثقافية للجزائر خلال العهد العثماني ،نظرا للدور البارز الذي لعبته .

كما كان للطرق الصوفية سلطة روحية ودينية ؛تقوم بفض النزاعات والحفاظ على التماسك الاجتماعي ،ونشر الأمن وإطعام المعوزين .كما قامت بدور أهم تمثل في المحافظة على وحدة الشعب الجزائري وهويته المتمثلة في الإسلام واللغة العربية .وبذلك يكون العثمانيين الذين وجدوا بعض الطرق

الصوفية قبلهم في الجزائر ،لكنهم شجعوا على زيادتها وتركوا الحرية للزوايا والطرق الصوفية ؛فازداد دورها الثقافي والاجتماعي لتتعداه إلى الدور السياسية مع بداية القرن التاسع عشر الميلادي ،لتستمر تلك الأدوار خلال الحقبة اللاحقة ومازالت إلى وقتنا الحاضر .

المحاضرة السابعة : سياسية التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني :

الإشكالية :كيف كانت وضعية التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني ؟وماهي أهم المؤسسات التعليمية خلال العهد العثماني ؟وماهي أهم الحواضر التعليمية ؟.

– المؤسسات التعليمية :

1– الكتاتيب :

هي إحدى المدارس التي كانت تابعة للمساجد ،وكانت تمثل اللبنة الأولى للعملية التعليمية في الجزائر خلال العهد العثماني ،حيث تتم فيها المرحلة الابتدائية أو الأولية للتعليم ،يتعلم الأطفال فيها الكتابة والقراءة باللغة العربية ،وحفظ القرآن الكريم ،وكانت منتشرة في الحواضر الجزائرية والأرياف .

2– المساجد :

كانت المساجد تقوم بالدور الديني والروحي ،إلا أنها تضطلع بدورها التعليمي باعتبارها تشكل معاهد متوسطة وعالية ،تقاوم فيها حلقات الدروس والعلوم ،لشتى أنواع العلوم المختلفة ،وقد كان للمساجد دور كبير في الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني ،وتلك طبيعة كل الأقطار الإسلامية في العهد العثماني .

3– المدارس :

تعتبر من أهم المراكز التعليمية ،وقد وجدت في مختلف الحواضر الجزائرية خلال العهد العثماني ،تدرس فيها مختلف العلوم النقلية والعقلية ،كالفقه والأدب ،والطب والفلك .

4– الزوايا :

كان للزوايا دور كبير في الحركة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني ،فقد كان العلماء يدرسون مختلف العلوم بهذه الزوايا ،وكانت منتشرة في كل ربوع البلاد ،كما كانت تستقبل الطلبة وتتكفل بإيوائهم ،وقد ساهمت في الحفاظ على اللغة العربية ومبادئ الدين الإسلامي ،واستمر دورها خلال العهد الاستعماري الفرنسي ،بل تعدى دورها إلى الدور السياسي والعسكري .

5– المكتبات :

كانت المكتبات منتشرة بكثرة في الجزائر خلال العهد العثماني ،وكانت الكتب تطبع في مكتبات الجزائر ،وقد اشتهرا مكتبات تلمسان ،ومازونة ،ومكتبات قسنطينة ،ومعسكر ،بالإضافة إلى مكتبات الجنوب بالأغواط وغرداية وورقلة ،وأدرار وغيرها .يضاف إلى ذلك المكتبات المتواجدة في الزوايا فقد كانت تزخر بالعديد من المخطوطات ،التي يستفيد منها طلبة العلم .

– الحواضر الثقافية :

تميزت الجزائر خلال العهد العثماني بوجود العديد من الحواضر العلمية ،والتي كانت تحوي مؤسسات تعليمية ،تزخر بالعلم والعلماء ،يقصدها طلبة العلم من مختلف ربوع البلاد ،ومن هذه الحواضر العلمية نذكر :حاضرة تلمسان ،وحاضرة معسكر ،ومازونة ،في الغرب الجزائري ،وحاضرة قسنطينة ،وحاضرة الجزائر ،بالاضافة إلى حواضر بالجنوب الجزائري وغيرها .

ومما سبق يمكن القول أن الجزائر خلال العهد العثماني :كانت تزخر بمؤسسات علمية متنوعة ،ساهمت في الحركة التعليمية خلال هذه الفترة ،وقد تعدد أدوار هذه المؤسسات العلمية ،لكنها ظلت تكمل بعضها البعض من أجل المساهمة في الحركة الثقافية نوقد توزعت تلك المؤسسات في مختلف ربوع البلاد ،ولكن اشتهرت بعض الحواضر نظرا لدورها البارز في الحركة العلمية .

المحاضرة الثامنة : حالة التعليم في الجزائر خلال سنة 1830م:

الإشكالية : كيف كانت وضعية التعليم في الجزائر عشية الاحتلال ؟وماهي أهم مميزاته وخصائصه ؟ .

على الرغم مما ذكرته بعض الكتابات عن حالة الضعف ،التي ميزت الحياة الثقافية وحالة التعليم بوجه خاص ،إلا أن الجزائريين كانوا بنسبة كبيرة يتقنون الكتابة والقراءة باللغة العربية ،ويحسنون أداء تعاليم دينهم ويحفظون القرآن الكريم ،نظرا لانتشار الكتاتيب والمساجد في الحواضر والأرياف على حد سواء ،وقد تفاجئ الفرنسيون أنفسهم عند دخولهم للجزائر بهذه الوضعية .

– التعليم العربي الإسلامي :

لقد ساهمت هذه المؤسسات التعليمية في الجزائر خلال العهد العثماني في تحفيظ القرآن ،وتلقين ما هو ضروري من أمور العبادة ،مما حد من ظاهرة الأمية ،وقد أثار ذلك انتباه الفرنسيين عند احتلالهم للجزائر في سنة 1830 ،فقد ورد في أحد تقارير ضباطهم : **إن عدد الجزائريين الذين كانوا يحسنون القراءة والكتابة يفوق ما كا ن موجود في الجيش الفرنسي نفسه ،الذي كانت نسبة الأمية به تقدر ب 45 %** .

وقد أشارت التقارير الفرنسية العسكرية ،عن حالة التعليم ،والذي سمت تلك التقارير بالتعليم العربي الإسلامي ،في سنة 1830م :

– أن التعليم العربي الإسلامي في الجزائر كان مزدهرا على العموم .

– أن التعليم والمعلم والعلماء يعتمدون أساسا على القرآن الكريم .

– كان التعليم في الجزائر مجانا ،ولا تقدم الدولة أية مساعدة ،لذلك كان التعليم حرا .

– كانت المدارس متصلة بالمساجد وتتغذى من أملاك الأوقاف .

– كانت المدارس كثيرة ورواتب المعلمين مضمونة (الوقف) .

– كانت الزوايا كثيرة ومجاورة للمساجد تعمل على إيواء الطلبة ،والأساتذة الغرباء .

وقد كان التعليم منتشرا في المدن والأرياف وحتى في الخيام ،وكانت المدارس والزوايا تضم المخطوطات ،وقد بقيت المدارس خارج سيطرة الفرنسيين حتى سنة 1846م ،فقد بعثرت الحملات العسكرية الفرنسية كل تجمعات الطلبة والعلماء ،وأتلفت المخطوطات التي كانت مصدرا للتعليم في الجزائر قبل الاستعمار الفرنسي.

– برامج التعليم في الجزائر سنة 1830م :

كان برنامج التعليم العربي الإسلامي في المدارس الجزائرية يكمل بعضه بعضا :

1- الابتدائي :يحفظ الطفل القرآن الكريم ،ويتقن الكتابة والقراءة ،ويتعلم مبادئ الدين الإسلامي ،ويحفظ المتون .

2- الثانوي :يدرس الطالب الفقه ،والتوحيد والنحو والصرف ،وأولويات الحديث والتفسير والسيرة .

3- الدراسات العليا :الفقه وأصول الدين والتوحيد ،والتاريخ الإسلامي ،وبعض الحساب والفلك والجغرافيا ،والطب .

وكان التعليم في المرحلة الأخيرة لا يواصله عادة إلا الطبقة ،التي كرست حياتها للعلم ،حتى أصبح وراثيا في بعض العائلات الكبرى فقط .

ومما سبق يمكن القول أن الفرنسيين عند احتلالهم ،وجدوا التعليم في الجزائر في حالة مزدهرة ،وهذا باعتراف التقارير العسكرية ،التي حاولت نقل صورة حقيقية عن تلك الوضعية للإدارة الفرنسية ،حتى يتم القضاء على التعليم لاحقا من خلال سياسة منظمة .

المحاضرة التاسعة : حالة التعليم في الجزائر مابعد سنة 1830م:

الإشكالية : كيف كانت وضعية التعليم في الجزائر ما بعد الاحتلال ؟وماهي أهم العوامل التي أثرت فيه ؟ .

لقد تغيرت حالة التعليم في الجزائر ،ونقصد بذلك تعليم الجزائريين ،أي التعليم العربي الإسلامي ،وهو التعليم الأصلي ،الذي كان موجودا خلال العهد العثماني في الجزائر .

– العوامل المؤثرة في التعليم خلال الاحتلال الفرنسي :

- الحملات العسكرية الفرنسية .
- مصادرة الفرنسيين للأوقاف .
- هجرة العلماء ونفيهم .
- تخريب المدارس والمؤسسات التعليمية الجزائرية .
- امتناع الأهالي عن تعليم أبنائهم وتوجيههم للعمل بسبب عدم قدرتهم على النفقة .

– وضعية التعليم العربي الإسلامي الأصلي في بعض الحواضر الجزائرية :

تشير التقارير الفرنسية إلى أن التعليم في الجزائر ،كان مزدهرا وكان عدد المدارس في الجزائر وحواضرها ،وأريافها كبير جدا إلى أن الفرنسيون ذهلوا منه عند احتلالهم للبلاد ،كما أن عدد التلاميذ كان مرتفعا كذلك ،إلا أن هذه الوضعية تغيرت منذ دخول الفرنسيين للأراضي الجزائرية .فمثلا من الحواضر التي وصفتها التقارير الفرنسية مدينة قسنطينة ،فقد كان بها ما يزيد عن 35 مسجد ، 90 مدرسة يدرس فيها ما بين 1300 و1400 تلميذ ،في حين عدد طلبة الثانوي والتعليم العالي من 600 إلى 700 تلميذ ،كان هذا قبل الاحتلال الفرنسي .

أما بعد الاحتلال الفرنسي ،فقد تدهور التعليم العربي الإسلامي في الجزائر ،وكاد ينتهي نهائيا في سنة 1847م .ففي مدينة قسنطينة انخفض عدد الطلبة في مرحلتي التعليم الثانوي والعالي للجزائريين إلى 60 طالب ،أما عدد التلاميذ الجزائريين في قسنطينة في المدارس إلى 350 تلميذ ،بعد أن كانوا يصلون إلى 1400 تلميذ ،إذ لم يعد الأهلي قادرين على الإنفاق على تعليم أبنائهم بعد أن صادرت الإدارة الفرنسية الأوقاف ،وذلك بسبب غلاء الإنفاق .

ويمكن تفسير هذه الحالة المزرية للتعليم العربي الإسلامي الأصلي في مدينة قسنطينة إلى عدة عوامل ،ارتبطت دائما بالاحتلال الفرنسي ،وهي كالتالي :

- توقف الفرنسيين عن صيانة المساجد بل القيام بهدمها .

– لم تعد وظيفة المعلمين ورجال الدين مهمة بالنسبة للجزائريين ،بسبب عدم وجود أجر كافي لها ،فقد قل الطلب عليها ،بعد أن كان المعلمون يتنافسون للحصول على هذه الوظيفة في الجزائر خلال العهد العثماني ،لما لها من امتيازات روحية واجتماعية ومالية .

– غلاء المعيشة أيام الاحتلال الفرنسي جعل الأولياء يوجهون أبناءهم للعمل وليس للتعليم .

– توقف أهالي قسنطينة عن استقبال أبناء الأقارب والأعراش خارج المدينة من أجل مواصلة تعليمهم ،وذلك بسبب ظروف المعيشة الغالية .

– تدهور حالة المدرسين والمعلمين بسبب السياسة الفرنسية المتعمدة .

رحيل التلاميذ القادرين على مواصلة تعليمهم العربي الإسلامي إلى الزوايا خارج مدينة قسنطينة ،والمناطق البعيدة التي لم يصل إليها الاحتلال الفرنسي .

ومما سبق يمكن القول أن التعليم العربي الإسلامي الأصلي ،تراجع وكاد ينتهي نهائيا خلال فترة الاحتلال الفرنسي ،بعد أن كان مزدهرا ومنتشرا في حواضر وأرياف الجزائر كلها خلال العهد العثماني .

المحاضرة العاشرة : سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر:

الإشكالية : كيف كانت وضعية التعليم في الجزائر خلال الاحتلال ؟وماهي السياسة التعليمية التي طبقتها فرنسا ؟ .

– سياسة فرنسا التعليمة في الجزائر :

كان هدف فرنسا منذ سنة 1830م ،هو القضاء التعليم القرآني في الجزائر ،يقصد التعليم العربي الإسلامي الأصلي ،وتعويضه تدريجيا بتعليم أكثر عقلنة وعلمية ،وأكثر فرنسية ،ونجحت في ذلك سنة 1884م ،عندما تمكنت من الفصل بين التعليم والدين الإسلامي ،بعد أن كان في الماضي لا يفصلان ،أي خلال العهد العثماني .

ولذلك قام الفرنسيون بمصادرة الأوقاف ،كما قاموا بنفي العلماء الجزائريين ورهبوا الباقي ،حتى يقوموا باستغلالهم .وبذلك تركوا التعليم العربي الإسلامي يموت دون الإعلان عن ذلك رسميا .

وقد أشارت التقارير الفرنسية إلى سياسة التعليم التي يجب تطبيقها من طرف الاحتلال الفرنسي في الجزائر ،والتي تقوم على :

– الاستمرار في إهمال التعليم العربي الإسلامي وعدم تقديم أي دعم له .

– عدم رد ممتلكات الأوقاف للتعليم رغم تمسك السكان الجزائريين بالمطالبة بها .

– هدم المؤسسات التعليمية الجزائرية ومصادرة ممتلكاتها وإضعاف دورها .

– نفي العلماء والمدرسين الجزائريين المعارضين لسياسة الاحتلال الثقافية ،وتهجيرهم والتضييق عليهم .

– إنشاء تعليم مزدوج (بلغتين) ،خاص بالجزائريين ،تدرس فيه اللغة العربية ،على أن تكون اللغة الفرنسية هي السيدة ،أي الرسمية لهذا التعليم ،وقد تم ذلك ابتداء من سنة 1850م .

– ترك التعليم الجزائري في الزوايا الريفية ،على ما هو عليه ومراقبة برامجه ومعلميه ،وبذلك تضمن فرنسا أن الزوايا لن تكون مراكز لمعاداة الفرنسيين ،ومن جهة أخرى يسهل التحكم فيه .

– أثر السياسة الفرنسية على التعليم في الجزائر :

لقد ساهمت السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر ،والتي كانت سياسة متعمدة ومبنية على دراسات معمقة وتقارير مسبقة ،في القضاء على التعليم العربي الإسلامي الأصلي للجزائريين ،وقد نجحت فرنسا في تلك السياسة إلى حد بعيد ،ومما يدل على مدى تعمد فرنسا في محاربة التعليم الجزائري ،ما ذكرته التقارير الفرنسية على لسان العسكريين الفرنسيين ،ومما جاء في أحد التقارير : **إننا جئنا لإضاءة الشموع فأطفأنا الموجود منها** .وورد على لسان تقرير لسائح أوربي كان قد زار الجزائر

قبل الاحتلال الفرنسي ،ثم زارها بعد أن احتل الفرنسيون البلاد شهادته على حالة التعليم في الجزائر ،كيف كان في العهد العثماني ،وكيف أصبح قوله : **أصبحت المدارس والزوايا مهجورة وخرابا في كل مكان في الجزائر** .

وبذلك قام الفرنسيون بتحطيم التعليم العربي الإسلامي ،وحاربوا اللغة العربية ،وفرضوا التعليم باللغة الفرنسية وجعلوها لغة رسمية للبلاد ،لذلك امتنع الأهالي الجزائريون عن تعليم أبنائهم في المدارس الفرنسية ،بعد أن ضيقت عليهم فرنسا الظروف المعيشية ،كما قام الفرنسيون بمصادرة الأوقاف وضيقوا مصادر تمويل التعليم للجزائريين ،كما استولت على المؤسسات التعليمية وهدمت الكثير منها ،وبالتالي نجحت في سياستها لمحاربة التعليم العربي الإسلامي منذ 1850م .

ومما سبق يمكن القول أن الاحتلال الفرنسي منذ دخوله للجزائر وضع القضاء على التعليم القرآني ،أو التعليم العربي الإسلامي أحد الأهداف المهمة ،لأنه يرى في ذلك القضاء على الهوية الجزائرية ،وبذلك يسهل السيطرة على الجزائر .